ISSN : 2353-0464
EISSN : 2600-6421

كتابات المسعدي(*) : تأويل للفكر الوجودي وتثبيت للّغة العربية الأصيلة.

الأستاذة : خالص زهرة
قسم اللغة والأدب العربي -جامعة حسيبة بن بوعلي –الشلف-

مقدمة :

منذ بداية الأربعينيات من القرن الماضي ظهر تطور كبير في الأفكار والتيارات الأدبية، ودخلت الكتابة الروائية في الغرب مرحلة جديدة، حيث اتجه الكتّاب متأثرين في ذلك بالنزاعات الفلسفية الأخلاقية والميتافيزيقية والصوفية، والوجودية، والعبثية إلى تجديد موضوعاتهم في الكتابة، وانقسموا إلى طائفتين الأولى اتجهت نحو النخبة المثقفة والثانية صوب الجماهير العريضة وكلتاهما تنادي بضرورة النظر في إمكانات الرواية التقليدية التي أصبحت غير قادرة على الاستمرار، والتمهيد لظهور رواية جديدة لا تلتزم السرد التاريخي، ولا الشخصية النموذجية وإنما تكون رواية قادرة على المزج في سياق السرد بين الماضي والحاضر والمستقبل، لكي تنفي عن الإنسان الشعور بالمأساة المتمثلة في وقتيته وفنائه، لأن الإنسان المعاصر في نظر سارتر يتغير مع مرور الزمن ويُدرك مجموع لحظاته الحياتية، إذ بمعرفته للوجود يدرك ذاته في كل لحظة بحرية تامة،[1] ولهذا على الروائي أن يصور في العمل الفني الواحد مواقف متباينة للغاية تتطلب من الإنسان الذي يعيشها أجوبة متباينة أيضا، ومتجددة دائما[2] في هذه الفترة التي تعتبر نقطة تحول في تاريخ الرواية الفرنسية كان الكاتب التونسي محمود المسعدي يتلقى دراساته العليا في جامعة السربون، حيث عاش فترة مخاض الرواية الفرنسية الجديدة وتأثر برياح الثورة التي هبت على فرنسا لأول مرة سنة 1955، والمسعدي من المثقفين العرب الذين عاصروا التحولات الفكرية والأدبية التي سادت فرنسا منذ منتصف الثلاثينات من القرن الماضي، وقد استقى من المنابع نفسها التي نهل منها الأدباء الوجوديون، والعبثيون، وتأثر بمثل ما تأثروا به من نزعة فلسفية ظهرت في الأدب الفرنسي، وبدأت تلونه بلونه الخاص، وقد

(*) محمود المسعدي أديب ومفكر تونسي ولد بتازركة عام 1915م، وافته المنية في ديسمبر 2005، ومن أشهر مؤلفاته الإبداعية: السد، حدث أبو هريرة قال، مولد النسيان، من أيام عمران، المسافر، السندباد والطهارة.

ISSN : 2353-0464
EISSN : 2600-6421

ساعده تمكنه من الثقافة العربية الإسلامية، وكذا اطلاعه على الثقافة الغربية المتطورة أن يكون من الروائيين العرب القلائل الذين رفضوا معمار الرواية التقليدية وأبدع تشكيلا فنيا جديدا جمع فيه بين أصالة التراث وحركة الحداثة في الأدب الروائي الغربي.

1- **وجودية محمود المسعدي :**

يلتقي المسعدي من حيث المضامين في بعض الجوانب مع الفيلسوف الألماني نيشه Nietzshe خاصة في كتابه "هكذا تكلم زرادشت"[3] ومع جان بول سارتر Jean Paul Sarter وألبر كامو Alber Camus ومارسيل غابرييل Marcel Gabriel وغيرهم وكانت المؤثرات التي أثرت في المسعدي، وكونته ثقافيا كثيرة إذ كانت دراسته الأولى في عهد طفولته وشبابه عربية تقليدية في تونس بالإضافة إلى دراسته الفرنسية في المدرسة الصادقية، وفي فرنسا استطاع أن يجد مجالا واسعا للاطلاع على الأعمال الأدبية الكبرى لكبار الكتاب العالميين من أمثال بودلير Beaudlaire وبول فاليري Paul Valery وأندري جيد Andre Gide ومالرو Malraux وسانت اكسوبيري Saint Exupery وجان بول سارتر Jean Paul Sarter وشكسبير Shakspeare ودوستوفسكي Dostoievski وابسن Ibsen ودي أونامونو De Unamuno، وهمنغواي Heminguay ونيتشه Neitzsche.[4]

اطلع المسعدي على مؤلفات هؤلاء خاصة منها التي تعالج قضايا الإنسان ووجوده، ودعا إلى ضرورة الاطلاع على الأدب الغربي ومنه الفرنسي على الخصوص فقال :" وشاءت الظروف التاريخية أن نتصل من هذا العالم الغربي بما فيه من ضروب الثقافات الجليلة، وخاصة بالثقافة الفرنسية"[5] وهو في بعض الأحيان أحس أنه يبالغ في الدعوة إلى التأثر بالثقافة الغربية فقال :"وليعلم أنه كان في البحث العلمي [...] إما أن نطرح ثقافتنا ونقلد غيرنا، فذاك ما فيه فناؤنا"[6]

إن قارئ مؤلفات المسعدي يدرك بوضوح اعتناق الرجل للمذهب الوجودي غير أن وجودية الرجل تختلف عما ألفناه في كتابات سارتر وكامو، لأنه ومثلما صرح بذلك- أكثر من مرة-لم يكتب شيئا يدل على أن الحياة عبث لاشك أنه يؤمن أن الوجود سبق الماهية وما على الإنسان إلا أن ينحت وجوده ويصوغ ذاته ويحقق ماهيته من خلال ما يعرف من تجارب.

2- **أبعاد المغامرة الوجودية:**

ISSN : 2353-0464
EISSN : 2600-6421

يحدد المسعدي مفهوم الأدب فيرى أنه "مأساة أو لا يكون"[7]وهو يشكل الأبعاد الفكرية لعالمه الروائي، ويصدر فيه عن رؤية فلسفية تصور مصير الإنسان ومقاومته لقوى خفية تسحقه باستمرار، ويمثل هذا النوع من الصراع صراع اللامنظور ضد المتطور كله وغالبا ما تتم تلك المواجهة البائسة بين التساؤل الإنساني في مقابل صمت العالم[8] وهذا هو اللغز الذي أرق الإنسان على مر الحضارات وعليه جاء الفن باختلاف أنواعه-معبرا عن القصة الإنسانية[9]، عن شعور الإنسان بالضيق والامتلاء بشتى معاني البؤس وآلام المصير، ومحاولته المستمرة للتخلص من هذه الوضعية، أو تجاوزها.

ينطلق المسعدي في كل ما أبعد من أدب من الإنسان في مواجهته لضعفه وقدره، ليصل إلى التعبير عن الحيرة البشرية، ويجسد قصة التجربة الوجودية، أو مغامرة الكيان الإنساني، هذه المغامرة التي تبتدئ مع الإنسان، وهو يتدرج في مسيرته الحياتية، من أولى لحظة له في الحياة إلى آخر ثانية منها[10]، بحثا عن معنى الحياة ومبرر للوجود، يقول المسعدي :" الإبداع في معناه الأصيل عندي، هو أن يأتي، أو أن يعطي جهد المبدع كاتبا، أو شاعرا، أو مفكرا إلى ما أسميه (الفتوح الفكرية) أو (الفتوح الوجودية) أي أن يكشف عن آفاق لم يكن يعرفها الإنسان ولم يكن اكتشفها وأن يفتح للبصر مدى أبعد مما كان يعرفه البصر"[11].

يصور المسعدي الإنسان، وهو يضطلع بمسؤوليته الوجودية، فردا أعزل، يواجه عالما قاسيا عبثيا، تكتنفه الغموض، ويعمه التناقض كل شيء فيه يشعره بالفشل، لكنه مع ذلك يجابه المشاكل بكل بأس، فتشتد عزيمته، وتقوى نفسه على معاناته، إلى أن يصل إلى إدراك الحقيقة، بعد مسيرة شاقة ينتقل فيها من الاطمئنان الجامد إلى الحيرة الباحثة، مما ينتج عنه حركة الطلب المتواصل، لما صار مُفْتَقِداً لمعنى الوجود".[12]

على هذا الشكل يكون الإبداع الأدبي عند المسعدي "سبيل الإنسان إلى إنسانيته، وطريقه إلى كيانه ووجوده وذاتيته"[13]، في إطار المراجعة الدائمة لسلم القيم عن طريق اكتشاف قيم جديدة، وطرح قيم أخرى كانت موجودة ولكنها ماتت. انطلاقا من هذا المفهوم يضفي المسعدي على أدبه بعدا إنسانيا يتجاوز حدود المنظور الإقليمي ويتطلع نحو رؤية شاملة، تندرج ضمن الأدب الوجودي، وتثريه بتصور شرقي متميز، يحمل مجموعة من الإيقاعات تتردد بين التمرد والعبث، والاشراقات الصوفية حيث العشق والفناء في الذات الجوهر بهذا تكون الوجودية عند المسعدي وجودية شرقية مؤمنة بأن الإنسان

ISSN : 2353-0464
EISSN : 2600-6421

بطبيعته متمرد، ولكن هناك فرق بينه وبين إبليس، الذي هو أيضا تمرّد واستعصى، إنه الكائن الذي فضله الله، واختاره أن يكون خليفته في الأرض،إن الإنسان لا يتمرد على الله بل يتمرد على عجزه.[14]

نلمس تأكيداً لهذه الرؤية في مقدمات رواياته الثلاث :"السد، مولد النسيان، حدّث أبو هريرة قال:"...وكذلك فيما توحي به الاستشهادات التي قدم بها لمعظم فصول روايته "حدّث أبو هريرة قال:"...هي أقوال مجموعة من الفلاسفة المشهورين، من الشرق والغرب، كما نجد تأكيدا لذلك عند طه حسين في حديثه عن رواية السد، حيث قال :" أن الوجودية قد أسلمت على يد الأستاذ المسعدي، كما انتصرت في فرنسا على يد الكاتب الفرنسي المعروف جبرييل مارسيل"[15]، من هنا نخلص إلى القول بأن المسعدي يسعى من خلال نزوعه الشرقي إلى تأسيس مذهب جديد لم يحققه الشرقيون من قبله، سواء منهم القدماء أو المحدثون"[16]، سماه طه حسين بالوجودية الإسلامية يعتمد كما يقول محمود طرشونة " على القرآن ونظريات المفكرين، وأصحاب المذاهب والاعتزال والتصوف"[17]، وقد أودع هذا الصور في مجموعة من التجارب والأبعاد، ضمنها في أعماله الروائية، فجاءت مجسدة لمغامرة وجودية متكاملة الأبعاد، تلعب فيها الإرادة البشرية المتسامية بالإنسان من الحيوانية نحو الألوهية دورا هاما يتمثل في الرغبة المتأججة للخلق والإنشاء والإبداع ومصارعة الموت، وقهر الفناء، سعيا لبلوغ الخلود، لا بالقضاء على الموت، بل باكتساب المسيرة الوجودية بعدا يتجاوز الموت وقد ركزت أعمال المسعدي على هذا الموضوع من زوايا نظر متعددة تشترك كلها في أنها تقدم لنا تصورا عن رحلة طويلة وشاقة، أولها الإنسان وغايتها الأبد[18]، فكانت مخاضا، وولادة وخلقا في رواية السد، ورحلة تشبه رحلة أبطال الأساطير بحثا عن الخلود في رواية مولد النسيان، أو قصة مغامرة وجودية متطلعة إلى المطلق مشدودة للمجهول، قصة الإنسان يكسره السكون والاستقرار، ويعشق الحركة والانتقال، يجرب الحياة ويبحث عن سر المصير في رواية "حدث أبو هريرة قال ".

ففي هذه الأخيرة نجد بطل الرواية أبو هريرة يعيش مغامرة وجودية وهي بلا شك قصة الفرد العربي المسلم، الذي أخذ ينقص عنه قيمه التقليدية، ويبحث عن معنى جديد أنسب إلى عصره وجيله فنراه في "حديث البعث الأول"[19]، رمز الخروج من الحياة الأولى التي كانت تهيمن عليها الطقوس الدينية إلى عالم آخر،فالبعث الأول إذن رمز لبعث روح أبي هريرة، التي

ISSN : 2353-0464
EISSN : 2600-6421

تحررت من قيم المدنية، ورجعت إلى عالم الطهارة، والطبيعة والصفاء عن طريق اتصالها بهذا الفتى وهذه الفتاة، الذين كانا "في زي آدم وحواء، ممددان جنبا إلى جنب متجهان إلى مطلع الشمس"[20]، ويواصل أبو هريرة في "حديث القيامة"[21]تجربته الوجودية فكانت النار رمزا لاتقاد الشهوات الحسية، أما في "حديث الحق والباطل"[22]، فيحاول فهم أسرار الحياة وحقيقتها فيقول "شر ما في الدنيا أن الحياة عبث بل لا أدري لعله خير ما فيها"[23]، ثم يعرض قضية موت أخته التي أصابتها كل العاهات تقريبا، وكان يحبها حبا لا حدود له فهلكت فبكاها بكاءا حارا وطال عويله، وقال :"وحسبته الشيطان، وقالوا هو الله"[24]، "وهذه بلا شك أي قضية عدل الإلاهي من الأمور التي بعثت في غياهب الحيرة إضافة إلى حيرته الفلسفية، وتجربته الفكرية التي وصفها في أسلوب أبي حامد الغزالي في (المنقذ من الضلال) وذلك في حديث (الحكمة) كان أبو هريرة شعر حاد الشعور بعبثية الوجود، ويتساءل عن قيمة الحياة، والآخرة بالنسبة للإنسان"[25]، فيقول أبو هريرة :"ما الدنيا؟ ما هي حتى تذهب أنفسنا فيها؟ وما الآخرة؟ ما هي حتى تذهب فيها دنيانا؟ ثم أعمل فلا يكون لإنس ولا إله ولا جان، ولا يكون كفرا، ولا إيمانا ولا صلاحا، ولا فسادا".[26]

ويطلب أبو هريرة ذاته المطلقة وهويته، يتوق إلى التخلص من إطاري الزمان والمكان، ويود لو أنه علق بين السماء والأرض "فيغيب عن الوجود ويعيش بين المطلقات والمجردات وبعبارة أخرى في عالم الطهر والفاء والوحدة، الذي يسميه فلاسفة اليونان (عالم المثل)"[27] ، وتتمثل تجارب أبو هريرة الوجودية في : تجربة الحس،تجربة الجماعة، التجربة الدينية، تجربة الشوق والفناء.

3- **اللغة المسعدية :**

أسلوب المسعدي جهد وخلاصة كسب منحوت لا يدعو إلا أن يقوم غيره بنفس الجهد حتى يصل إلى الكسب بالنحت والصياغة، وعلى هذا المعنى فإن هذا الأسلوب لا يحتاج إلى مشروع آخر في الثقافة والمجتمع لأن الأسلوب على قدر ما هو خلق، وابتكار شخصي للكاتب فهو يتصف بالفردية الذاتية التي لا تنفي عنه صفته المُعطى أو العنصر الاجتماعي الذي له صلات بالمجتمع[28]، وهناك فرق شاسع بين لغة التخاطب العادية ولغة الأدب المعروفة بالخروج عن المألوف بيّن المسعدي هذا الفارق قائلا:"تحدثت عن الفارق بين لغة التخاطب اليومي ولغة الصحافة ولغة الإذاعة والتلفزة التي

ISSN : 2353-0464
EISSN : 2600-6421

هي كلها صيغ لغوية الغرض الأقصى منها هو التبليغ أو اتصال المعنى المراد إبلاغه إلى ذهن السامع فإذا قامت العبارة المستعملة بوظيفتها هذه وقذفت في ذهن السامع المراد بها فقد انتهى دورها ونسيت تماما، لا يقف المستمع لها عند أية خاصية منها بل هي في كثير من الأحيان لو سألت السامع: ماذا سمعت لأعاد عليك ذلك بغير تلك الألفاظ، بينما إذا روى لك بيتا من الشعر وفهمت معناه وطلبت منه أن يعيده عليك فإنه لا يستطيع أن يعيده عليك إلا بعبارته وإلا يكون أفسد الشعر وأفسد بيت الشعر، هذا هو الفارق بين لغة التخاطب المراد منه إبلاغ المعنى بدون أن يقف السامع فيها على أية خاصية تمتاز بها وتجعلك تهتم بالصيغة وبالعبارة كما تهتم بالمعنى وبين لغة الأدب"[29] والمألوف هو التساهل والتهاون والتعامل بغير مسؤولية مع اللغة "أما الذي يرى نفسه مسؤولا لدى اللغة التي يستعملها، فهو مسؤول باحترامها واحترام المقتضيات الفكرية والفنية من حيث مدلول الألفاظ أصلا وصيغة وتركيبا والذي لا يكون مأخوذا بهذه المسؤولية ليس أديبا"[30]، فاللغة العربية التي يكتب بها المسعدي عرّفها لنا قائلا :"هي في الحقيقة لغة بعثتها من صميم فؤادي[...] لأنها لغة وجودي، ولأني وجدت في اللغة العربية ما يعبر عن كياني أحسن تعبير،فقد كنت أبحث عن كياني، وعن وجودي، وعن ذاتي من خلال أصالة العربية".[31]

فاللغة العربية بمنظور المسعدي أداة من أدوات التحرر والانطلاق وليس للفكر أو الحياة الباطنية، أو للوجدان باب أو وسيلة يستطيع بها أن يكون إلا اللغة، لذلك كانت هذه الأخيرة عند الكاتب ملازمة للمغامرة الوجودية الباطنية والفكرية الباطنية.[32]

أما الأسلوب فيقول عنه المسعدي على أنه :"هو الذي تكون عليه مسحة الجمال الفني المقصود في الأدب ولا يكون (لغوا) نوعا من البلاغة كما كانت في عصور الانحطاط، هو الذي يكون (جميلا) مع أنه يقع في أعماق النفس، ويؤدي وظيفته الخلاقة: تحريك النفس وهذا بطبيعة الحال، هو ما يكون عسيرا في كثير من الأحيان، لأنه قد يكون من اليسير أن تأتي بالعبارة الجميلة وبدون أن تقترن بها قيمة معنوية، أو قيمة تأثيرية تجعلها في نفس الوقت الذي تعبر بأجمل الصيغ وبأجمل أسلوب تحرك في النفس أعمق المشاعر، وأعمق المعاني أكبر تحريك وأشده"[33] فالمحاولة عند الكاتب أن يقوم بالعمليتين في وقت واحد عملية الخلق الجمالي وعملية الخلق الوجودي أو الخلق الفكري، أو الخلق الوجداني.

ISSN : 2353-0464
EISSN : 2600-6421

اختار المسعدي اللغة العربية مقوما أساسيا للهوية وقد كان قادرا على الكتابة باللغة الفرنسية التي تضمن له الانتشار عالميا، إلا أنه يقول كلمته في أمهات القضايا الإنسانية بلغته الأم، حتى يحييها لأن حياتها دليل على حياته، إن اختيار المسعدي للإبداع في نطاق لغته الأم هو عملية إثبات وجود[34]. المتسم بالمراوحة بين الاندماج في العصر والتجذر في الأصل لخلق الإنسان العربي دون تقليد ولا مسخ وينوه عن هذا بقوله:"أريد أن أفرض وجودي وأن أواصله حتى أقيم الدليل على أني أستحق أن أحيا كهؤلاء الذين يدّعون أني لا أستحق أن أحيا إلا إذا انتسبت إليهم، أو مسخت ذاتيتي وانقلبت إلى ذاتيتهم وشخصيتهم"[35]، كما غذى ثقافته من أفذاذ الأدب العربي الإسلامي من أبي العلاء المعري وأبي حيان التوحيدي وأبي حامد الغزالي، وعمر الخيام، فالذي لاشك فيه هو أن المؤثرات الأدبية التي كان لها أثر في تكوين المسعدي تنتسب حقا إلى الوجودية[36]، "فإن كان التفكير الفلسفي الوجودي يوضح الفكرة والأدب الإلتزامي يعبر عن السلوك والموقف فإن هذا وذاك كليهما واقع في نطاق مشكلة الوجود ومصير الإنسان، ومنزلته من الكون، وسلوكه في الحياة،ومآله بعد الحياة"[37]، وبيّن بعد هذا أن رواية (السد) وجودية وأن الناقد طه حسين قد أصاب كل الإصابة في نسبتها إلى الأدب الوجودي.[38]

تحمل اللغة المسعدية الكثير من التحدي، فهي تتحدى لغة المستعمر أولا وتتحدى المتفرنسين الذين نفضوا أيديهم من العربية والأعاريب فالمسعدي تفرد بتلك اللغة لأنها كانت الأداة التي استعملها الجاحظ والمتنبي وابن رشد ورفاعة الطهطاوي وخير الدين التونسي، فأراد أن يبث عن طريق هذه اللغة أفكارا فلسفية وجودية معاصرة تتعلق بالولادة والموت، والدين، والحب...الخ، ويوضح طرائق استعمالها قائلا :" أما الفرق بين (نعبدك) و (إياك نعبد) و (لا نعبد إلا إياك)[...] المعنى واحد هو التعبير عن عبادتنا، عبادة المتكلمين للمخاطب، ولكن فروق كبيرة:"نعبدك" مجرد تقرير، "إياك نعبد" فيها تخصيص، و"لا نعبد إلا إياك" فيها الحصر والقصر" هذه أسرار اللغة العربية والكاتب إن لم يكن مأخوذا مشغولا شغلا كليا ذهنيا وجدانيا، حسّيا وفكريا في نفس الوقت بهذه الخصائص اللغوية والصرفية والنحوية فإنه بطبيعة الحال يكتب كتابة مهلهلة".[39]

ولنا أن نقدم البعض من الأمثلة التي تنم عن خصائص لغة المسعدي على سبيل المثال لا الحصر لأن المجال لا يسعنا لذكرها جميعاً، ومن بينها ما يلي:

ISSN : 2353-0464
EISSN : 2600-6421

1-النعت: استعمل المسعدي النعت في قصتيه (السندباد والطهارة) و (مولد النسيان) وقد كان من اليسير استعمال وسائل نعتية أخرى، كما يمكن كذلك تعويض هذه النعوت بـ:

-اسم منسوب: في "واهتديت إلى سبيل المطلق المحض والحياة الأبد"(مولد النسيان،ص291) (الحياة الأبدية).

-جملة نعتية: في "وحاجة إلى مادة مستندٍ"(مولد النسيان، ص307) (أي يستند عليها).

2- التكرار اللفظي : "ولكنك صورت في النور، وطهرت النور، وحسنت النور" وفي موضع آخر كذلك:"أَمَاتَ الشجر، ومات الطير، ومات الماء"(مولد النسيان، ص275).

3-التشابيه الباعثة على الخيال : في روايته "حدث أبو هريرة قال:"

- "وقامت وكأنها الضبية أحست بالنبل"(حدث أبو هريرة قال ، ص143).
- "وثم تتراجع بهما في هيئة من الرقص، كأنه الغصن يهزه الريح"(حدث أبو هريرة قال ، ص143).
- "وإحدى رجليها مرسلة كالرمح المصوب في الهواء، كأنها تهم أن تطير، فكأني بها قد انفصلت عن الأرض وطارت"(حدث أبو هريرة قال ، ص143).

4-التشبيه التقريبي :

- "ولم يتحرك من رنجهاد لسان، ولا طرفة عين، كالقسوة توبس النفس"(مولد النسيان ،ص288).
- "فهي لا ينفذ إليها من صوت الريح إلا كعد والخيل"(مولد النسيان ،ص290).
- "ووجدت في الفعل كمثل سكرة الخمر"(حدث أبو هريرة قال ، ص142).
- "وأحسست منها كشديد العناق"(مولد النسيان ،ص275).
- "فأجد منه كمس لطيف النهود"(حدث أبو هريرة قال ، ص142).
- "لم أر كالأصنام ظاهرها الروح وتملك الجسد"(حدث أبو هريرة قال ، ص165).
- "فأجد كالدواء والغشية"(مولد النسيان ،ص291).

فهذا الاستعمال للكاف بدون مشبه، إضافة إلى كونه يشير إلى تقليد تعبيري قديم، يعبر عن انفتاح أجزاء من النص أساسية على أشياء غامضة خارجة عنه.

5-بَتْرُ الجمل :

- "وقد علَّمني اليوم ..." (مولد النسيان ،ص276).

ISSN : 2353-0464
EISSN : 2600-6421

- "في مثل هذا العشي ..." (مولد النسيان ،ص258).
- "وإذا أنت أيضا ..." (مولد النسيان ،ص280).
- "الذي قعد بك يا مدين ..." (مولد النسيان ،ص284).

وهذه الجمل كلها من (مولد النسيان) فهي ظاهرة تختص بها هذه الرواية.

6-الوصل المطلق :

- "فسار حتى وقف بنا على أحد قتلانا، وأزاح التراب: فإذا وجه حسنا، كأنها النور. وقال: وقد جعلتموها ظلاما"(حدث أبو هريرة قال ، ص185).
- ثم أخذ موزة وقشرها فنظر وقال (مدين) :"وسيأتي يوم سيرتخي اللحم ويبيض كالموز ويطيب للدود ويكون الختام، قالت (ليلى): وتريد أن تقتل الموت؟"(مولد النسيان ،ص296).

تتكرر كثيرا في (مولد النسيان) فتكسب هذا النص صفة الخطاب المرتبط بخطاب مفقود، فإذا بتركيب الجملة يعكس النسيان، ويربط أحيانا الخطاب بسلاسل التذكر، فيعطي للنسيان دلالته في مقابل التذكر في سلسلة متحركة مع الزمن.

- "قالت (ليلى): نعم لقد كان في نفسه حين جئنا هذا البلد شعلة الأنبياء، يريد محق الأمراض وأحياء الموتى، وأقمنا المارستان ونشرنا على الناس الدواء، وقلنا إسلامكم للعلة ضعف أيها الجبناء".(مولد النسيان ،ص272).
- قالت (هند) :" وقطعتم رنجهاد عن الناس".(مولد النسيان ،ص272).

7-الخروج عن المألوف :

للمسعدي خاصية الخروج عن المألوف فعوض أن يقول :"فجاؤوني بطعام طيب وماء بارد فشربت"، قال في رواية حدث أبو هريرة قال :" فجاؤوني بطعام طيب فأكلت وماء كالبرد شربت". (حدث أبو هريرة قال ، ص227).

لا تخرج الجملة عند المسعدي عن الخصائص النحوية الكبرى للجملة في اللسان العربي فما يكسب نصوصه خصوصية أمور.

أولها : تناسق واعتدال وتوازن عام في المكونات من حيث شكلها النحوي ومعانيها النحوية، واعتدال يشق كل النصوص ويجعلها تتكامل، فإن بنية الجملة عند المسعدي تقع على كيفية تجعل النص متناسقا.

ثانيا : أن بنية الجملة عند المسعدي تترك شعورا عند القارئ بعدم انغلاق النص على نفسه.

ISSN : 2353-0464
EISSN : 2600-6421

ثالثا : أن هذه النصوص تنفتح أسلوبيا على أنماط تقليدية ثلاثة : نصوص الأخبار ومركزها الأغاني، نصوص الإنشاد ومركزها القرآن، ونصوص الحجاج ومركزها الكلام.

8-التدقيق في الوصف :

إذا كانت البلاغة العربية تعتبر الإيجاز مناط القوة في الإبداع والإضمار الموحي مصدر الشعرية Poétique، فإن رواية (حدث أبو هريرة قال :"تتخذ مسارا عكسيا، يعتمد على ذكر التفاصيل، وتدقيق الأشكال، والحركات، والألوان، وإبراز المكنون في جوانح النفس، وخلجات القلوب، ولعل التضاد بين هذين النوعين من فنون القول هو الذي عرض لأسلوب الرواية فإختار المسعدي بحكم ولائه للنموذج القديم ورغبته في تأصيل المشاهد المطولة:" من (حدث أبو هريرة قال....".

- " ثم بدت من الشمس بوادر نور فإذا الفتاة ارتمت وقامت كأنها الظبية أحست بالنبل، وجعلت تهم بالشرق فلا تخطو إلا خطوة، ثم تتراجع وترسل يديها إلى السماء، والشمس، كأنها تروم أن تدركهما، ثم تتراجع بهما في هيئة من الرقص كأنها الغصن يهزه النسيم، وسكنت طرفة عين ثم عادت في الرقص إلى مثل حركاتها الأولى، فرأيتها لسانا من الرمل قائمة على رأس الكثيب، وكأنها ولدت منه أو ذابت فيه، فهي رقيق الرمل يجري بين الأصابع" (حدث أبو هريرة قال ، ص143) .
- "كانت لي بين السادسة والتاسعة من عمري أخت لم تعش إلا ثلاث، وكنت أحبها حب الشياطين للشر، وكانت ذات عاهات لا تدعها علة إلا أصابتها أخرى، وكانت إلى ذلك بكماء صماء، أسأل في ذلك فيقال :" هو القضاء، وكنت كلما بكت بكاءها عطفت عليها وخففتها، فهي بكماء حتى عن مطلق البكاء تريده فتتوجع ولا ينشرح لها، وكنت أرعاها" (حدث أبو هريرة قال ص184) .

ارتقى أسلوب المسعدي من السرد إلى الوصف ومن النثر القصصي إلى لغة الشعر، أعاد إلى الكلام إيقاعه الموزون، وتجانست حروفه في شبه قافية تتردد بانتظام آخر الفواصل.

خاتمة :

يسعى المسعدي في أعماله الإبداعية على تفسير مستحيل لسر الوجود، كما اهتم بجمالية الكتابة وتوظيف نصوص مختلفة ومعارف شتى، ولقد رفض تقليد الآخر ومحاكاة لغته وأدبه لأن اللغة العربية بإمكانها أن

ISSN : 2353-0464
EISSN : 2600-6421

تحتضن مغامرة الإنسان العربي الوجودية، وهي لغة الباطن والأعماق، ولغة الدقائق في الفكر وفي الإحساس وفي الوجدان، وعُدّت كتابته خارجة عن المألوف.

إن المسعدي في التزامه الأدبي واللغوي ينشد الانعتاق والتحرر ويؤسس معنى الوجود الإنساني، ولكن هكذا يفهم المسعدي الالتزام في علاقته بالحرية وفي فهمه للغة وهي تلازم المؤلف والإنسان عامة في مأساته الوجودية. لأنها عنده هي المعالجة الفكرية والوجدانية لكل ما يطرح على كائن واعٍ بمسؤولية كيانه من أسئلة.

ما يكتبه محمود المسعدي كلّه أو معظمه هو ابن الحيرة، يتولّد عنها ويعترف من صميمها موضوعاته وأساليبه.

"أكون أو لا كون" تلك هي قضية هذا الكاتب الجوهرية فالمسعدي يفسر علة وجود الإنسان العربي،ويوضح غاية حياته: توق إلى الفناء المطلق (الله عز وجل)، وتحد لأخطار الحياة، وممارسة متواصلة لمغامرات الوجود، وبحث مستمر عن حقيقة الذات، كل أعماله وفلسفته مُقترنة دوما بمصلحة الإنسان الأعلى.

احتضن المسعدي عصره، وفهم تياراته الفكرية والفلسفية ونفذ إلى خباياه، فهو متقدم فكريا إلا أنه رغم ذلك اختار في كتاباته اللغة العربية المستعملة في صدر الإسلام، الحاملة لمفاهيم جديدة بالنسبة لعصره لأنها الوحيدة التي رصدت انشغالاته وهي لغة يمكن أن يشعر الإنسان بواسطتها أنه وصل إلى درجة المطابقة والاتفاق الكلي مع ذاته وفكره وإحساسه.

كل عمل أدبي إبداعي إنما هو رسالة من الأديب إلى القارئ وهذه الرسالة تحوم حول مجموعة من الأسئلة أو المشاكل التي يود الكاتب أن يثير حولها التفكير أو الشعور وعرضها -أي الرسالة- وفق فن أدبي يقتضي في جملة ما تقتضيه قواعده أن يعطى للناحية الجمالية حقها. واللفظة أو العبارة لا تكون لباس الاكتشاف الفكري أو الوجداني أو الشعوري بل تكون دمه ولحمه.

الهوامش :

1. Maurice Nadeau, le roman français depuis la guerre coll-ideé, Gallimaud, paris, 1970, p 90-91.
2. ينظر :سامية أحمد أسعد، الرواية الفرنسية المعاصرة، مجلة عالم الفكر، عدد 03 أكتوبر، نوفمبر، ديسمبر، ص ص 128-129.
3. هكذا تكلم زرادشت عام 1883م، فقد وجد في زرادشت معلما جديدا وإلاها جديدا وهو سيعيد نفسه مرة ثانية، وسيبدأ كما بدأ وسينتهي كما انتهى وسيعود كل شيء بالتفصيل

ISSN : 2353-0464
EISSN : 2600-6421

الدقيق مرة بعد مرة ومرات لا نهاية لها، ينظر: ول ديورانت، قصة الفلسفة من أفلاطون إلى جون ديوي، حياة آراء أعاظم رجال الفلسفة في العالم، ترجمة: فتح الله محمد المشعشع، منشورات مكتبة المعارف، ط5، بيروت، لبنان، 1985، ص ص 517-523.

4. ينظر : محمود المسعدي، الأعمال الكاملة، جمع وتحقيق وتقديم : محمود طرشونة، دار الجنوب للنشر، ط2، تونس، 2011.
5. محمود المسعدي، تأصيلا لكيان، نشر مؤسسات عبد الكريم بن عبد الله للنشر والتوزيع،(د.ط)، تونس، 1979م، ص115.
6. المرجع نفسه، ص 116.
7. المرجع نفسه، ص 21.
8. ينظر: ألبيريس، الاتجاهات الأدبية في القرن العشرين، ترجمة: جورج طرابيشي، دار عويدات،(د.ط)، بيروت، 1985م، ص103.
9. ينظر: محمود المسعدي، تأصيلا لكيان، ص 29.
10. ينظر: المرجع نفسه، ص 68.
11. ماجد السمراء، حوار مع المسعدي، مجلة الحياة الثقافية، عدد 13، جانفي، فيفري، 1981م، تونس، ص 55.
12. الحفناوي الماجري، المسعدي من الثورة إلى الهزيمة، حدث أبو هريرة، تونس، 1980م، ص 12.
13. محمود المسعدي، تأصيلا لكيان، ص 64.
14. ينظر: ماجد السمراء، حوار مع المسعدي، مجلة الحياة الثقافية، ص 53.
15. طه حسين، أصداء تونسية، مقال نقدي ورد مرفوقا برواية السد، الدار التونسية للنشر، تونس، ص 235، نشر في جريدة الجمهورية، عدد 09 ماي 1957م.
16. طه حسين، أصداء تونسية، السد، ص 232.
17. محمود طرشونة، الأدب المريد في مؤلفات المسعدي، مطبعة تونس قرطاج، ط2، 1980م، ص 64.
18. ينظر: المرجع نفسه، ص 8.
19. محمود المسعدي، الأعمال الكاملة، تقديم : محمود طرشونة، مج1،حدث أبو هريرة قال، دار الجنوب للنشر، ط2، تونس، 2011، ص 141.
20. المصدر نفسه، ص142.
21. المصدر نفسه، ص 159.
22. المصدر نفسه، ص 183.
23. المصدر نفسه، ص 185.
24. المصدر نفسها.
25. الهادي عبد العزيز، كيف كان أبو هريرة بطل أحاديث المسعدي، مجلة الحياة الثقافية، تونس، ع 31، 1984، ص57.
26. محمود المسعدي،الأعمال الكاملة، حدث أبو هريرة قال، ص 282.
27. الهادي عبد العزيز ، كيف كان أبو هريرة بطل أحاديث المسعدي، ص 57.
28. ينظر: محمود المسعدي، الأعمال الكاملة، المجلد 03، ص 115.

ISSN : 2353-0464
EISSN : 2600-6421

29. المرجع نفسه، ص 120.
30. المرجع نفسه، ص 124.
31. المرجع نفسه، ص 208.
32. ينظر: المرجع نفسه، ص 302.
33. المرجع نفسه، ص 210.
34. ينظر: المرجع نفسه، ص 275.
35. المرجع نفسه، ص 190.
36. ينظر: المرجع نفسه، ص 17.
37. المرجع نفسه، ص 60.
38. ينظر: المرجع نفسه، ص 60.
39. المرجع نفسه، ص 123.

المصادر والمراجع :

I-المصادر :

-محمود المسعدي، الأعمال الكاملة، تقديم : محمود طرشونة، المجلد1، دار الجنوب للنشر، ط2، تونس، 2011.

II-المراجع :

1-باللغة العربية :

أ/ الكتب :

- ألبيريس، الاتجاهات الأدبية في القرن العشرين، ترجمة: جورج طرابيشي، دار عويدات، (د.ط)، بيروت، 1985م.
- محمود المسعدي، الأعمال الكاملة، جمع وتحقيق وتقديم : محمود طرشونة، دار الجنوب للنشر، ط2، تونس ، 2011.
- محمود المسعدي، تأصيلا لكيان، نشر مؤسسات عبد الكريم بن عبد الله للنشر والتوزيع،(د.ط)، تونس، 1979م.
- محمود طرشونة، الأدب المريد في مؤلفات المسعدي، مطبعة تونس قرطاج، ط2، 1980م.
- ول ديورانت، قصة الفلسفة من أفلاطون إلى جون ديوي، حياة آراء أعاظم رجال الفلسفة في العالم، ترجمة: فتح الله محمد المشعشع، منشورات مكتبة المعارف ، ط5، بيروت، لبنان، 1985.

ب- مقالات ودوريات :

- الحفناوي الماجري، المسعدي من الثورة إلى الهزيمة، حدث أبو هريرة، تونس، 1980م.

ISSN : 2353-0464
EISSN : 2600-6421

- الهادي عبد العزيز، كيف كان أبو هريرة بطل أحاديث المسعدي، مجلة الحياة الثقافية، تونس، ع 31، 1984.
- سامية أحمد أسعد، الرواية الفرنسية المعاصرة، مجلة عالم الفكر، عدد 03 أكتوبر، نوفمبر، ديسمبر.
- طه حسين، أصداء تونسية، مقال نقدي نشر في جريدة الجمهورية، عدد 09 ماي 1957م.
- ماجد السمراء، حوار مع المسعدي، مجلة الحياة الثقافية، عدد 13، جانفي، فيفري، 1981م، تونس.
2-باللغة الأجنبية :
Maurice Nadeau, le roman français depuis la guerre coll-ideé, Gallimaud, paris, 1970.